

ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقي بقلم إيان دوجيد

أفضل ما في مزمو ٢٣، كما هو الحال في الحياة، يُحفظ للنهاية. هنا، لا تكفي الاستعارة الكلاسيكية للراعي والخراف في وصف غنى العلاقة بين الرب وبين شعبه، فتتحول الاستعارة إلى استعارة المضيف والضيف. على وجه التحديد، بما أن هذه الصورة ليست مجرد حفلة عادية، فإن الاستعارة تصف ملكاً عظيماً يرحب بالملك الأصغر التابع له في بيته كضيف شرف في وليمته.

يشرح هذا السياق الملكي وجود أعداء داود كمشاهدين للوليمة. عادةً لا ندعو أعدائنا ليشاهدونا ونحن نتناول الطعام، وقد نرى حضورهم في مناسبات مختلفة ربما يتسبب في افساد شهيتنا. ولكن في هذا السياق، فإن حضورهم غير المرغوب فيه في الوليمة هو الإثبات الهام للنقلة الحيوية في موازين السلطة بمجيء الملك العظيم أخيراً. لزمّن طويل، كان أعداء داود يسخرون منه ومن ثقته في يهوه، وكان داود عاجزاً على التغلب عليهم. لسنوات كان يصرخ: "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَتَسَانِي كُلَّ النَّسِيَانِ؟ ... إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟" (مزمو ١٣: ٢-١). في الغالب، بدا الأمر لداود، وللعالم المشاهد، وكأن الرب قد نسيه بالفعل، وأنه قد سمح لأعدائه أن يبتهجوا في نصرتهم.

من الممكن أن تكون المظاهر خداعة. فمع مجيء الملك العظيم، تتحقق العدالة أخيراً: تمت نصره داود، وتبين أنه هو من يحبه الرب ويُسر بأن يكرمه، بينما أعدائه عاجزون ويخجلون. رتب الرب وليمة عظيمة لداود واستقبله كضيف شرف في المأدبة. إن الأمانة لشروط العهد تستحق الدعوة لمكان الكرامة على مائدة الملك وتناولها، بينما تتم محاكمة أعداء كاتب المزمو وإدانته. إن المثل الذي قاله المسيح عن الخراف والجداء يدمج بشكل مشابه بين استعارة الخراف والراعي مع استعارة الملك الذي يقيم وليمة للاحتفال (انظر متى ٢٥). هناك، أيضاً، يتم دعوة الخراف الأمانة ليستقبلوا مكافأتهم بينما الجداء غير الأمانة يُلقوا في الظلمة.

ولكن هذا التمييز النهائي بين الملك التابع الأمين والعدو غير الأمين — بين المدعوون للانضمام إلى الاحتفال والمتروكون ليقفوا عاجزين وفي خزي على جانب الاحتفال — يثير سؤالاً في قلب كل مؤمن: لماذا أُدعى كضيف شرف لمثل هذه الوليمة المُخصصة لخدام الملك الأمانة؟ فإن أفضل ما يُقال عن طاعتنا في نهاية الأمر، أنها طاعة منقطعة، وأقل جداً مما يجب أن تكون عليه. لقد أدرنا ظهورنا كثيراً وبشكل متعمد عن الطاعة، وانضمامنا إلى المتمردين في عبادتهم المتحمسة لأصنامهم. بدلاً من المحبة الراضخة والرحمة، نستحق أن نتبعنا لعنة العهد الإلهي كل أيام حياتنا.

هنا يشرق بوضوح جمال الخلاص بلا استحقاق الذي لنا في بشارة الإنجيل. لأن يسوع المسيح، ابن الملك العظيم، جاء وعاش عتًا حياة الطاعة الكاملة التي كان يجب علينا نحن أن نعيشها. وبدلاً من أن يكافئه الآب بالكرامة والمجد، أسلم الآب الراعي الصالح إلى يد أعدائه، حتى أنه صرخ بكلمات المزمور السابق: "إلهي، إلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَن خَلَاصِي، عَن كَلَامِ زَفِيرِي؟" (مزمور ٢٢: ١). على الصليب، جسّد المسيح المثال المطلق لمعنى أن يكون الإنسان تحت لعنة الله. شهادته هناك لم تكن عن الطعام الوفير والمراعي الخضر، بل عن الجوع والظمأ، حتى أن لسانه التصق بحلقه. اختباره على الصليب لم يكن اختبار حضور الرب المعزي معه في وادي ظل الموت، حيث يرد حياته، ولكنه كان اختبار الترك والهجر بينما تركته حياته ببطيء. لم تكن هناك عصا وعكاز في الجليئة لتعزيته وحمايته من أي ضرر. بدلاً من ذلك، تم تسليمه إلى قبضة سخرية أعدائه ليعذبوه. بدلاً من السكنى في بيت الرب، ترك وحيداً على الصليب في الظلام ليموت وحده، منبوذاً.

ولكن الترك والهجر الذي لاقاه هو أساس رجائنا. لدينا السبب الأقوى جداً مما كان لداود، نعلن بثقة: "قَلَا يُعَوِّرُنِي شَيْءٌ" و"لَا أَخَافُ شَرًّا". فراعينا قد وضع حياته لأجلنا وأقيم من الأموات، فألحق العار بأخر أعدائنا وأعظمهم — الموت ذاته. الآن يقف المسيح باعتباره المضيف صاحب الوليمة العظيمة، الملك الذي سار أمامنا ليعد لنا مكاناً في بيت أبيه. سواء أخذنا مسارنا الحالي عبر المراعي الخضر وعند مياه الراحة أو تعرج بنا مروراً بظلام وادي ظل الموت، يمكننا أن نثق بهذا: أن المسيح قد وعد أن يرحب بنا في ملكوته في اليوم الأخير، لنحتفل على مائدته هناك، مع كل قديسيه من الأمم العديدة، منتصرين في حضور كل أعدائنا. إن الرب هو بالفعل راعينا الصالح.

الدكتور إيان دوجيد هو أستاذ العهد القديم في كلية وستمنستر للاهوت في مدينة فيلادلفيا، والقس المؤسس لكنيسة المسيح المشيخية في مدينة جلينسايد، بولاية بنسلفانيا. وهو مؤلف كتاب "هل يسوع موجود في العهد القديم؟" (*Is Jesus in the Old Testament?*).

تم نشر هذه المقالة في الأصل في مجلة [تبيولتوك](#).